

## الفصل الثامن

### المصيدة تتمزق

كان فيتولونيس يقف خلف كلوس عندما اقتربت ٢٠٨ اس من حافة الرصيف في « كيل » يوم ٢٩ سبتمبر عام ١٩٥٤ .

في وضع النهار استطاع الرجل أن يرى مجموعة صغيرة من خمسة رجال يقفون على أرضية الرصيف .

رغم دقة دروس لوكاسيفكس إلا أنه لم يدرب أو يعد ضابط كى - جى - بى على مواجهة النظرات الحادة والمصافحة الخالية من الإخلاص التي كانت في انتظاره وهو يخطو فوق الأسمت المبلل .

كان سيلارجس هو البادئ بالحديث وهو يحاول إخفاء توجسه عند تقديم أفراد المجموعة « اليكس » الذي هو بيركيس وبوبيس وهو لاتفى اخر وفريد عميل اس - أى - اس المقيم في هامبورج ثم سكوت الذي كان يبدو بوضوح أنه هو المسئول الكبير . ثم تبادل كلمات قليلة بين أفراد المجموعة قبل أن يغادروا الرصيف لركوب سيارتين تتوجهان إلى ٨ جولف ستراسى .

وفور دخول المجموعة إلى إحدى الفيلات الملوكة للـ اس - أى - اس تلقى فيتولونيس أمراً بخلع ملابسه لأخذ حمام وترك الملابس في غرفة مجاورة وفيما كان مغموراً في الماء راوده الشك في أنهم يفتشون ملابسه وتصور أن هناك مرايا سرية عاكسة لمراقبته . وقد حدث فعلاً أن قام الخبراء العاملون تحت قيادة سكوت بتفتيش الملابس للتأكد من أن مرتدى هذه الملابس عاش في الغابات الرطبة .

وتوقعا لمثل هذا الأمر قضى فيتولونيس الأسبوعين السابقين قبل رحيله في مخبأ حتى تحمل ملابسه رائحة الغابات ومع ذلك عثر ضباط اس - أى - اس على علبة كبريت جافة مما أثار فضولهم .

وإزاء صعوبة المغادرة قال سكوت بعد ثلاثة أيام هانحن قابعون هنا في هامبورج لأن الضباب الكثيف يحول دون إقلاعنا .

وإزاء هذا الوضع قضى فيتولنيس حوالى أسبوعين ومضيفيه أيامهم في المطاعم والبارات وكان ثلاثة أشخاص يتناولون الطعام معاً وهم فيتولنيس وسكوت وفريد وتم استبعاد سيلارجس وبيركيس .

وفي الغالب كانت الحادثات بين الثلاثة تحمل طابع الاستجواب إلا أن سكوت لاحظ خطورة سيادة مناخ الاتهامات وأخذ يبتسم للحيلولة دون تراكم الجليد . وعندما تقرر شد الرحال إلى لندن لم يكن السحاب قد زال تماماً واستطاعوا في النهاية بعد أربع محاولات من الهبوط في فيرفورد .

بعد الوصول تم اقتياد « البارتيزان » إلى مقر إقامته المؤقت في لندن وهو عبارة عن شقة صغيرة مريحة تقع في ٢ سلوان ستريت في مقابل حمل هارفي نيكولاس الفاخر في كيفتبرج .

بعد انتهاء فترة التوتر في هامبورج فوجيء فيتولنيس بمفاجأة سعيدة بعد يوم من وصوله وتتمثل في دعوته إلى حفلة في هامبستيد ترافقه نورا داشوود مساعدة ماكبن وكان هذا الأخير يحتفل في قصر باكنجهام بحصوله على وسام أو - بي - أى وكانت الحفلة في منزل ماكبن تقام بمناسبة تقاعده .

كان المشاركون في الحفل الذين يدركون الظروف حريصين على عدم الإشارة إلى ان تقاعد الرجل كان سابقاً لأوانه فقد كان فرعه يعاني من أزمة مستمرة منذ الربيع وهاهو ماكبن يسقط كأول ضحية للأزمة .

وقد تم تقديم سكوت إلى فيتولنيس على أنه خليفة ماكبن . وكان الضحية الأكثر خطورة هارى كار الذى وافق على الانتقال إلى العمل في كوبنهاجن كضابط مقيم في عام ١٩٥٥ . ورغم جهود الإدارة في إخفاء عملية تنزيل رتبته وإعطائه فرصة قبل التقاعد للحصول على بدلات العمل الكبيرة للقيام في الخارج إلا أن الأجيال الأقل سنأ فهموا أن هناك شيئاً ما خطأ حدث خلال حقبة هارى كما أن الإشاعات ترددت كذلك خلال حفلة ماكبن .

كانت الشقة الصغيرة في ابيردار جاردينز مكتظة بزملاء من برودواي والمهاجرين في مراحل مختلفة من الثمالة متجاهلين في غمرة السعادة عذاب العقد الماضى .

لقد كانوا من الجيل الذي لبي طلبات القادة العسكريين للحصول على معلومات استخبارية من وراء خطوط العدو .

وكان يبدو أن الإسراف في احتساء الوسكى والفودكا بمثابة احتفال بالتزام المضيف بالنضال .

كان فيتولنيس يشرب مع مجموعة تعتقد أن الحرب مازالت مستعرة دون أن يكون هناك سلام أبداً .

وفي الوقت الذي كان الجيل الجديد في برودواي لتناول الشاي وبعد ذلك يتم تخصيص وقت كاف يرافق فيتولنيس الساحرة نورا داشوود في نزهة حول كنيفتسبرج ، كان المحامى الصغير الأصلع يكرر أسئلته ببطء على فيتولنيس وتدور حول أسرته وعمله وأصدقائه .

ونظراً لأن المحقق لايعرف اللغة اللاتفية أو الروسية فقد كان يوجه الأسئلة باللغة الألمانية وكان عدم تمكنه من الحصول على أى اشارة متناقضة بمثابة شهادة لاختيار لوكاسيفكس لهذا الجاسوس . فقد تحدث فيتولنيس بالحقيقة كلها مع بعض الحذف وبلغت الأمور ذروتها في اليوم التاسع عندما قرر تغيير المسار بطريقة درامية .

فيتولنيس - لقد تخرجت من الجامعة الماركسية بدرجة في الفنون .

المحقق - إذن أنت ماركسى ؟

فيتولنيس - نعم أنا ماركسى قالها وهو يصرخ بصوت مرتفع متصنعاً الغضب . وأرفض أى استجواب جديد .

وهنا تدخل سكوت قائلاً : نحن نعرف أنك ماركسى .

ورد فيتولنيس لقد مللت من أسئلتك إذا لم تكن تثق في أعينى إلى بلادى مرة اخرى .

سرعان ماساد الغرفة صمت مطبق تبادل خلاله الانجليزيان النظرات ثم غادرا الغرفة

يدين ماكبن لعدم قبوله أو فهمه لتغير الظروف منذ عام ١٩٤٥ وكانت وجهة نظر أولئك الموجودين في هامبستيد هذه الليلة أن الكفاح ضد البلشفية لم يتوقف أبداً وأن الحرب ضد النازيين كانت قطيعة بانسة أو حتى فرصة ضائعة .

إن وجود فيتولنيس في الحفل هو رمز للفشل في فهم طبيعة الأزمة الخانقة في ريدير ستريت وبرودواي والتي ثارت بعد رفض ماكين بانفعال الأمر المؤقت بالتوقف عن إرسال عملاء ، وكان يجادل كار بأن تفاهة غضبه واحدة لا تكفى لكى يرفض المرء الكدمة كلها ولقد بلغ الغضب والعداء ذروته مع رحيل ماكين رغم أن أحداً من المشاركين في الاحتفال يمكن أن يفهم الظروف كاملة حتى ماكين نفسه .

وفي اليوم التالى انتهى الجو غير الرسمي وتم اقتياد فيتولنيس إلى مبنى ضخم بدون اسم في فيكتوريا ستريت للقاء سكوت وأحد المحامين المجهولين والذي قدم بجفاف إلى فيتولنيس على أنه المستجوب ومع ذلك لم يخيم على الجو شعور عدائى أو محموم إنما كان هناك أربع ساعات من الاستجواب يومياً يتخللها استراحة .

بعد وقت قصير عاد سكوت إلى الغرفة ليعلن أن الرجل ليس عميلاً من عملاء كى - جى - بى ثم غادر ثانية ورغم ذلك مازالت الشكوك تراوده ، وكان سكوت والمحقق على اقتناع بأن فيتولنيس موضع شك إلا أنهم قرروا أنه يمكن تحقيق المزيد من المكاسب عن طريق بدء عملية خداع بدلا من هدم العلاقة .

ولم يخبر ضابطا اس - أى - اس سيلارجس بمخططهما وتم السماح له ان يطمئن بليدياته أنه اجتاز الاختبار .

وفور مغادرة المحقق للغرفة ظهر سيلارجس وهو يحمل زجاجة ويسكي وهو يصيح - هيا نحتفل - ولكن فيتولنيس تساءل : لماذا كانوا في شك منى ؟ وهنا رد سيلارجاس إنها المياه في إشارة إلى العينة التى تم تعبئتها من الأوراك . وهنا تساءل فيتولنيس مياه ؟ وهنا جاء سلارجاس بنسخة أولية من من طلب اس - أى - اس الذى تسلمه ايرجليس قائللاً إذا كان - أوجست - إشارة إلى ايرجليس خائف جداً من الذهاب إلى الأورال فإنه يمكنه غمر الزجاجة في نهر داوجافا في وسط ريجا وإذا كان يريد أن يمارس حماقة معنا فإنه يستطيع أن يتبول في الزجاجة ولكن بدلا من ذلك أرسل إلينا عينة من المياه مشبعة بالإشعاع لدرجة أن أى شخص يعيش في المنطقة المجاورة لهذه المياه لابد أن يموت فوراً والذين يستطيعون مزج هذه المياه هم رجال كى - جى - بى فقط .

استبدت الحيرة بفيتولنيس حيث كان لوكاسيفكس دون أن يعرف هو وجد من الصعب تلبية طلب اس - أى - اس نظراً لأن معلوماتهم حول وجود مفاعل يقع على نهر توبال في الأورال كانت معلومات خاطئة حيث لا يوجد مفاعل يعمل في البحر .

وإزاء ذلك طلب لوكاسيفكس من المركز في موسكو إعداد عينة من المياه ولن يجرى تحقيق داخلي للتعرف على الفاعل وأخذ العالم المختار على عاتقه مهمة إحاطة المتقى علماً بالإنجازات العظيمة التي أحرزها التقدم العلمى في روسيا . لم يكن لوكاسيفكس يتصور أن يصل غياب موسكو إلى حد تعريض العملية برمتها للخطر بالمبالغة في تصوير قوة المفاعل لدرجة لاتصدق وعشية تنفيذ حكم الإعدام في بيريا انهار ترتيب موسكو تماماً .

وبينما كان يعب الويسكى فيم فيتولنيس موقف سيلاراجاس وقد رأى المهاجر عدم وجود ميزة شخصية في إعلان أن فيتولنيس أو مجموعة روبرتس ليسوا موضع ثقة ، كان اللاتفيون في المنفى يريدون من البارتيزان - الأنصار - ان يدعموا آمالهم السياسية ويحافظوا على وضعيتهم في لندن ووجودهم المستمر . فقط هو الذى أدى إلى استمرار تمويل الحكومة البريطانية للبعثة . ووجد فيتولنيس ميزة تكتيكية في تأكيد شكوك سيلاراجاس والتي عبر عنها أيضاً سكوت في أن هناك احتمالاً باختراق مجموعة روبرتس وأن إيرجليس غير موثوق به وفي ذات الوقت أكد أن مجموعة ماكسيس مازالت سليمة .

بعد أن انتهى فيتولنيس من شرح وجهة نظره لاحظ ترحيب سيلاراجاس بوجهة النظر هذه نظراً لأن أى نتيجة أخرى ستؤدى إلى تحقيقات جديدة بشأن مجموعة ماكسيس وربما نهاية عمليات اس - أى - اس في لاتفيا وليتوانيا واستونيا .

وهنا لن يغفر زارنيس والزعماء المهاجرون لسيلاراجاس إذا بادر بأى إجراء يؤدى إلى توقف عمل المخابرات البريطانية في البلطيق ليس فقط لأن ذلك سيسد الطريق أمام مصير دولهم ولكنه سيؤدى بصورة كبيرة إلى التقليل من أهميتهم في نظر وزارتى الخارجية البريطانية والأمريكية وكان من مصلحة سيلاراجاس الشخصية أن يدرك هذه الحقيقة .

وافق سكوت على دورة تدريبية لفيتولنيس قبل أن يعود إلى لاتفيا ولكن بدلاً من أن يذهب إلى المدرسة في تشيلسيا فإن المدربين سيأتون إلى سلوانى سترتيت ، ولم يكن بسبب عزله عن باقى العملاء سراً فقد قال له سكوت أنت موضع ثقة ولكن كى - جى - بى اخترقت صفوف البارتيزان ، وقد وضح أن فيتولنيس هو الذى وقع ضحية الوهم فقد كان سكوت متأكداً من وجود ثغرات في عمليات البلطيق إلا أنه يحتاج بعض الوقت حتى يتحقق من هذه الشكوك دون إفساد أى ترتيبات سابقة .

كان بيركس واوبانس وعملاء آخرون عائدون قد خضعوا لإعادة استجواب وأعربوا عن اعتقادهم أن مجموعة ماكسيس محل ثقة وقد بدا أن هذا الرأي قد تأكد خلال العام الذى قضاه كليكانس فى لندن مؤخراً ، وذلك من واقع خبرة إس - أى - إس مع احتمال أن يكون قد تم اختراق روبرتس .

ورأى رجال إس - أى - إس ضرورة تعليم فيتولنيس لبعض المهارات واستمرار ظهوره بعد أن لاحظوا استمتاعه بجو الحرية والمرح الذى يسود لندن ، والاستضافة الرقيقة من جانب سكوت ونورا داشوود .

فى واقع الامر بدا فيتولنيس راضياً عن حياته وسط الرأسماليين كما هو متوقع من مقاتل من أفراد البارتيزان المناهضين للشيوعية .

فى الوقت الذى استمرت فيه التحريات بدأت عملية تدريب فيتولنيس على تعلم مبادئ تشغيل جهاز الإرسال وتزوير جوازات السفر إلى جانب مباريات فى إسقاط الرسائل الميته فى منتزه هايد بارك مع ضابط صغار وكيفية العمل تحت ضغط المراقبة فى منتزه ريجنتس ، والشىء الذى لم يعرفه ضباط إس - أى - إس أن تلميذهم استخدم نفس المهارات فى تحرير تقرير متقدم إلى لوكاسيفكس فى ريجا يحتوى كل ما يتم التخطيط له .

كان هناك تصور مشترك يجمع بين فيتولنيس وسيلاراجاس حيث اعتقد الرجلان شكوك مبعثها فقط المياه المشعة إلا أن الحقيقة تؤكد أن هذه الشكوك قامت على أسس أكثر رسوخاً من هذا .

فى وقت سابق من هذا العام أبلغ بول هارتمان خبير المخابرات المركزية فى شئون لاتفيا جورج بيليك رئيس قسم البلطيق فى واشنطن عن وجود مشاكل تواجه لينويدس برومبج الذى تم إنزاله فى لاتفيا يوم ٦ مايو ، وكان برومبج قد أصر على أن يقوم بنفسه بعملية التحرى عن مصير لينويدس زارنيس وسيلتقى مع اديفينس اوسوانيس شخصياً والذى لم يكن معروفاً للمخابرات المركزية الأمريكية أنه يتعاون مع كى - جى - بى فى ريجا .

جاءت عملية إنزال برومبج كما أكد فى إشارته القصيرة بالراديو بعد عملية ناجحة تماماً ولم يلاحظها أحد وبعد أن دفن بعض معداته استقل القطار إلى ريجا وقد أثار وجوده المفاجئ دهشة أصدقائه القدامى إلا أنهم قبلوا تفسيره بأنه عائد من الترحيل

في سيبيريا ووفروا له مكانا ينام فيه .

وفي يوم ١٢ مايو وبعد السماح لبرومبرج ببعض الوقت للتأقلم مع الجو أرسلت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية رسالة بالبريد العادى إلى اوسولنيس تطلب منه مقابلة أحد رجالها في المقبرة « فوريسست » وكان هذا أول خيط يقود كى - جى - بى إلى معرفة وصول العميل الجديد .

أصدر بوندوليس تعليماته إلى اوسولنيس بأن يجرى اتصالاً مباشراً فوراً مع برومبرج ثم يتفقا على موعد آخر وجاء اللقاء ميلودراميا حيث كان اوسولنيس يسير في مؤخرة موكب لتشييع جنازة حاملاً باقة من الزهور لم يكن متوقفاً أن يرى الضابط الذى دربه في السابق إلا أنه فوجيء ببرومبرج واقفاً أمامه ، وفعلاً تم الاتفاق على لقاء آخر ثم افترق الرجلان .

كان بوندوليس حاسماً إزاء مصير برومبرج حيث أن المطلوب هو عدم السماح لعميل المخابرات الأمريكية بإرسال أى تقارير استخبارية يمكن مقارنتها مع التقارير المرسله إلى اس - أى - اس كان لابد من القبض عليه في اليوم التالى وقد أشرف فيفيرز شخصياً على العملية للحيلولة دون ابتلاع برومبرج لأقراص السيانيد .

في أول استجواب جذر بوندوليس العميل برومبرج من النتائج المترتبة على عدم تعاونه إلا أن برومبرج اعترف بالمكان الذى أخفى فيه المعدات وهدف مهمته من بناء الشبكة التى فشل تلاميذه في تنفيذها بنجاح كما أعلن عن نوايا وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في المستقبل .

وفيما بين الاستجوابات قام اوسولنيس بتهدئة خاطر برومبرج وشرح له المآزق الذى وقع فيه واقترح عليه أن يقبل التعاون مع كى - جى - بى بعد كل هذا لا يوجد أى دليل على أن روسيا تعد العدة للهجوم على الغرب والحياه تبدو في لاتفيا أفضل مما كان متوقفاً وتدرجياً بدأ بوندوليس في الاقتناع أن برومبرج رغم ماهو معروف عنه من عداة شديد للشيعوية ربما يكون قد اقتنع بالتعاون مع كى - جى - بى .

لم تراود وكالة المخابرات الأمريكية أى شكوك بعد حول صمت جهاز الإرسال الخاص ببرومبرج نظراً لأن اوسولنيس قد أرسل رسالة خطية يؤكد فيها أن اللقاء بينهما تم في سلام وأن جهاز إرسال برومبرج قد تعرض للتلف ويمكن إصلاحه .

لم تكن موافقة برومبرج في النهاية على التعاون تثير أى شك أو مفاجأة ، وجاء

السيناتور الذى اعده بوندوليس لإرسال إشارات إلى واشنطن ليقترح أن الرجلين يستعدان لمغادرة ريجا وضرورة إرسال عميل جديد بدلاً منهما .

حمل برومبج من بين معداته عدداً من جوازات السفر البيضاء وطوابع شرطة لتزوير تأشيرة دخول ميناء مورانسك للهروب على ظهر سفينة شحن يطلبها مالزم الأمر قبل موعد الهروب وكانت هذه هى الخطة المتفق عليها مع هارتمان .

العقبة القادمة أمام بوندوليس هى كيفية الحيلولة دون ان تتضمن أول رسالة رمزية لبرومبج أى إشارة إلى أنه وقع بين يدي كى - جى - بى .

من المعروف أن كل شخص يستلم جهاز إرسال بالراديو له أسلوب فى طبع مفتاح مورس يكون معروفا لدى المستقبل تماماً مثل خط اليد .

وهناك أحد الفنين فى ألمانيا الغربية مكلف بالتقاط ونسخ رسالة برومبج وهو فنى متمرس بأسلوب برومبج الشخصى فى الإرسال ، كما اتفق هذا الفنى على وجود انحراف طفيف فى الأسلوب فى إرسال خطابات معينة لإبلاغ عن وقوعه فى قبضة كى - جى - بى ، لم يكن بوندوليس يدرك هذه الوسائل فقد حذر برومبج قبل أول رسالة من اللجوء إلى الخداع .

وصلت رسالة برومبج الأولى إلى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى شهر يوليو وتضمنت تقريراً استخبارياً موجزاً أعده خبراء ومحللون فى شارع لينين كما تضمنت أنباء عن اعتزام برومبج واولوليس مغادرة روسيا .

ماذا عن الموقف فى واشنطن؟ اعتقد هارتمان والمسئولون الآخرون فى الوكالة أن برومبج مازال حراً طليقاً رغم الفجوة بين الرسائل .

مع حلول عام ١٩٥٣ وبعد أن أصبح تعاون برومبج مع كى - جى - بى شيئاً عادياً بدأ بوندوليس بإهمال فى تخفيف حدة الرقابة على برومبج ، الذى استغل الموقف وقام بإجراء تغيير أو انحراف طفيف فى شريط إشارة موريس ليكشف أنه وقع فى قبضة كى - جى - بى إلا أن أحدا لم يلاحظ مغزى هذا التغيير سواء فى واشنطن أو ألمانيا الغربية .

ومع ذلك أدى التحليل الدقيق لتقاريره الاستخبارية إلى إثارة نوع من سوء الفهم . فقد كانت رسائله الخالية من أى معلومات عسكرية أو إشارة إلى أن الاتحاد السوفيتى يقوم بالتعبئة للحرب تشبه المسكنات .

وعلى الرغم من أن هذه النوعية من المعلومات كانت تحوز قبول اس - اى - اس خلال خمس سنوات إلا ان سى - اى - ايه كانت تريد المزيد . ومع ذلك أرسل هارتمان تقريراً إلى برومبيرج يتضمن الاستعدادات لإجلاء العميلين عن طريق ميناء مورمانسك . من خلال الوقت ذاته كان فرع البلطيق فى المخابرات المركزية الامريكية يتلقى رسائل متباعدة من ليتوانيا وكانت كى - جى - بى تستقبل كوناس كوكاوسكوس الذى خان لوكشا فى إرسال تقارير استخبارية وطلبات بالمساعدة بواسطة جهاز الإرسال الذى تم الاستيلاء عليه قبل تدمير المخبأ .

ولكن رغم وجود العميل باولوس سيرفيس وهو فنى يعمل على جهاز الإرسال حراً طليقاً فى الغابات فإن المخابرات الامريكية كانت متأكدة منذ وقت طويل أن جميع عملائها قد لقوا حتفهم وأن الرسائل التى تصل عن طريق أجهزة الإرسال بالراديو مصدرها كى - جى - بى .

وفى وقت لاحق من عام ١٩٥٤ وصل خطاب من سيرفيس ورغم تعرضه للخيانة والقبض عليه فى وقت لاحق من ذلك العام إلا أن محلل المخابرات الامريكية ارتبكوا فى الحكم على ما إذا كانت شكوكهم بعد ذلك كله قائمة على أساس قوى .

وخوفاً من فقد عميلين جديدين تم إنزالهما فى استونيا قرر بيليك إيفاد لويزا بيدرا فاس وهى أمريكية من أصل ليتوانى إلى لندن لمقارنة الرسائل الواردة إلى المخابرات الامريكية بتلك التى وصلت إلى اس - اى - اس من البلطيق .

أمضت بدرا فاس ثلاثة أسابيع فى برودواى خلال شهرمايو ١٩٥٤ . كان هناك تناقضات طفيفة فى الرسائل الواردة إلى الوكالتين ونقص فى صلب الموضوعات الهامة طوال الفترة وتطابق مدهل فى المعلومات الواردة من مجموعة البارتيزان فى الغابات بتقريرها كان بيليك وهارتمان وفايفادا يتوقعون ماهو أسوأ .

على أى حال وافق هارتمان على خطة أخيرة بإجلاء برومبيرج وبعث برسلة إلى « العميل » تخبره أنه سيتم إرسال طائرة صغيرة إلى حقل قريب من النشاط ، وعند اقتراب الطائرة عليه أن يقوم بإضاءة ثلاث مشاعل توضح مكان الهبوط .

بناء على تعليمات بوندوليس تم إبلاغ برومبيرج الرسالة وصدق على الخطة ، وفى الليل غادر مقره فى لينين ستريت . وفى الحقل تم مد حبل من السلك حول منطقة الهبوط حيث ينتظر رجال كى - جى - بى .

وكما هو متوقع سمع صوت طائرة صغيرة وتم إضاءة المشاعل وكان العملاء السريون يراقبون الطائرة وهي تدور ثم تبدأ في الهبوط وسرعان ما عادت إلى الاختفاء في ظلام الليل الدامس .

وفي تبادل لاحق للرسائل أبرقت المخابرات الامريكية في ألمانيا الغربية أن طاقم الطائرة أبلغهم بفشلهم في رؤية المشاعل .

اعتقد بوندوليس أن الطيارين كانوا خائفين وفضلا العودة لكن الحقيقة أنهم تلقوا أوامر بعدم الهبوط . فقد كان هدف الرحلة هو الإبقاء على برومبيرج حياً .

سرعان ما تبذرت جهود سى - أى - إيه للإبقاء على الاتصالات مع برومبيرج للتخطيط لهروبه عبر ميناء مورمانسك رغم العواقب المحتملة على حياة العميل الذى تعتمد عليه الخطة .

لقد كان شعور هارتمان متبلد إزاء هذه الخسارة ، وفي أعقاب ذلك تم تعيينه ليتولى منصب في مجال مكافحة أنشطة التجسس المضاد تحت قيادة انجليتون .

لقد جاء إنهاء عمليات المخابرات المركزية الأمريكية في البلطيق متزامنا مع بيان علنى ألقاه جون فوستر دالاس أمام الكونجرس قال فيه : « إن الشعوب الأسيرة لا بد أن تعرف أننا لم نتساهل » ورغم أن الأمر بقى سراً إلا أنه كان مفهوماً أن الإدارة الأمريكية لن تفعل شيئاً حقيقياً لإنقاذ هذه الشعوب .

لقد صادفت محاولات زرع عملاء في روسيا عن طريق حدود فنلندا وتركيا وإيران فشلا ذريعا نتيجة العقبات القاهرة التى صادفت الجواسيس في روسيا والتى تتمثل في المساحة الجغرافية الشاسعة والطقس القارس والتوتر الرهيب ، علاوة على أن المخابرات المركزية الامريكية كانت على وشك استخدام طائرة التجسس يو ٢ مما قلل من أهمية العنصر البشرى في التجسس باهظ الثمن .

وما أن تأكد بوندوليس أن رسائل المخابرات الامريكية أصبحت عديمة القيمة توقف عن ممارسة عملية الخداع . وتم الحكم بالسجن لمدة ٢٥ سنة على برومبيرج ونفيه إلى سيبيريا حيث مات على ما يبدو بأزمة قلبية وهو يلعب كرة السلة . أما سيريفيز فقد حكم عليه بالسجن لمدة ٢٥ سنة وتم إطلاق سراحه بعد قضاء ١٩ سنة .

لقد كانت أزمة إس - أى - إس أكثر خطورة . حيث هناك حاجة لنوعيات خاصة

إدانة خمسة أعوام من النجاح . ورغم أن التحقيقات المشتركة التي أجريت بالتعاون مع بيدار فاس قد أثارت شكوكاً جديّة استمرت شبكتنا لاتفيا والشبكات الثلاث العاملة في ليتوانيا تتظاهر بالعمل في حرية .

أشار تحليل لعمليات ليتوانيا إلى أن الظروف التي أحاطت بالقبض على أحد العملاء في مارس ١٩٥٣ واسمه بول جانيتز كاس ( جوارس ) الذي وصل عام ١٩٥٠ للعمل لحساب ديكسنيس يمكن أن تنسب إلى سوء الحظ علاوة على أنه لا توجد شكوك تحيط باختفاء عميل آخر هو الجيس لوكماناس . كما ان أولئك الذين مازالوا يبعثون برسائل لم يضمنوها أى إشارات تفيد أنهم يعملون وهم تحت سيطرة كى - جي - بي .

وجاء تقرير من زيجمانس كوديركا الذى عبر مع ( ادموندس ) في خريف عام ١٩٥٢ أفاد أنه يعيش مع أحد الحدادين في إحدى المزارع . لم يكن هناك شيء قد تغير خلال العامين الاخيرين حيث كان يختبئ في النهار تحت سطح المنزل ويغادره في الليل للتنزه وكان يرد على رسائل برودواى كما هو مقرر ، ويقوم بإرسال تقارير « ادموندس » التي تأتيه عن طريق وسيط متعاون . ونظراً للاعتقاد السائد أن كوديركا حر طليق لم يكن يرى برودواى أى سبب يدعو إلى التفكير في العكس .

اما اتصالات برودواى مع عميلين آخرين في ليتوانيا وهما البنياس ( انستياس دوكايتيس ) وميك ( انستياس برشلوتاس ) اللذين كانا يعيشان في مدن صغيرة فقد كانت تسير على نحو مريح كذلك .

ممثل آخر عن البارتيزان - الأنصار - أمضى ستة أسابيع في لندن وكرمه زيجمانس عاد مع أحد الفنيين لتشغيل جهاز الإرسال .

وخلص سكوت بعد التشاور مع كار إلى انه نظراً لاختلاف خبرة اس - أى - اس عن الـ سى - أى - إيه فإنه سيكون من الخطأ التوصل إلى نتائج مفزعة رغم أن مؤشر الميزان يشير إلى تزايد الشكوك .

كإجراء وقائي قررت اس - أى - اس اختبار شبكة استونيا وأرسل ريبان رسالة إلى البارتيزان يطلب فيها ضرورة إرسال أحد قادتهم إلى لندن فوراً للتدريب .

وكإجراء ناجم عن الشك الطفيف من جانب اس - أى - اس من احتمال حدوث اختراق من جانب كى - جى - بي عندما جاء رد الاستونيين بأن جون يمكن أن يلتقط

بواسطة كلوس في الأول من نوفمبر في سيرديما تم اتخاذ قرار بإنزال عميل آخر هو - هارى - على نفس الرحلة .

كان من الواضح أن إس - إس - أى - إس مازالت تعتقد أن الاختراق محصور في مجموعة روبرتس .

ذهب ريبان إلى كييل لاستقبال « جون » وبعد فترة إقامة قصيرة كشف الاستونى عن هويته باسم ولتر لوكس بعدها طار الرجلان إلى لندن ، وهناك تم استجواب عضو البارتيزان لعدة أيام ولم يتم الاستجواب باللغة الروسية كما طلب المحقق إنما بالاستونية حيث ادعى لوكس أن لغته الروسية ركيكة ، قام ريبان بدور المترجم في المحادثة التى أصبحت لحسن حظ لوكس الذى يتحدث الروسية بطلاقة محادثة ركيكة . جاءت الأسئلة بطريقة نمطية ودارت حول حياة العميل الاستونى وخلفيته العائلية .

وفي نهاية الأسبوع أكد ريبان والمحقق ارتياحهما إزاء عضو البارتيزان الذى تم إرساله إلى مدرسة هولاند بارك لتلقى التدريبات ، وهى المكان الذى كان حتى وقت قريب مخصصاً لتدريب الأوكرانيين .

اعتمد سكوت مثله في هذا مثل ماكن على تقييم ريبان حول « بلدياته » نظراً لتوافر جميع الأسباب للثقة في تقييم ريبان الذى كان ضابطاً بارزاً سابقاً في إس - إس - أى - اس وقادراً على شم رائحة الشيوعية والتجسس وهو نفس الرأى الذى يحمله ريبان في نفسه . إن كان ريبان يعتقد أن خبرته الطويلة لاتجعل شيئاً يغيب عن ملاحظته .  
وفي أعقاب تدريبات عادية قام ريبان بتقديم لوكس إلى اوجست تورما سفير استونيا في لندن .

وكما هو مطلوب انحنى الزائر تحية لسعادة السفير وقدم المهاجر ومعه صندوق صغير بداخله حفنة تراب وقال لوكس : « إن هذا تراب من وطنك الحبيب » بعد أن تلقى السفير الهدية - وكان أقل سفراء دول البلطيق واقعية - أخذ يسرح بنظره ويناجى نفسه حول ضرورة وحتمية الحرب في المستقبل القريب لتحرير الوطن .

وكان اللقاء الثانى للرجلين في الحفلة التى أقيمت في مقر البعثة يوم ٢٤ فبراير ١٩٥٤ للاحتفال بالعيد الوطنى لاستونيا ، وكان ريبان يقف في وسط الاحتفال بين أفراد الجالية الاستونية في الملتقى يتراقص على عقبه كالعادة بعد أن كان قد احتسى زجاجة سكوتش .

بالقرب من ريبان وقف لوكس الذى حرص على إخفاء سبب وجوده في لندن يتحدث بحماس عن فضائح الشيوعية وفجأة قام احد الضيوف بأخذ ريبان جانباً وهمس في أذنه وهو يشير إلى لوكس .. هل ترى هذا الرجل ؟ إننى أعرفه من استونيا حيث التحق بالجيش الأحمر عام ١٩٤١ ووصل إلى رتبة ميajor .

هراء ! رد بذلك عميل اس - اى - اس السكران وقال لقد كان جندياً هرب من وحدات الرماية وبعدها بقى لوكس لمدة أربعة أشهر في لندن .

في الجانب الآخر من كينسينجتون تأكدت الثقة مرة أخرى في اعضاء البارتيزان في مقر مفوضية لاتفيا وخلال تناول الشاي في أيام الاحاد المتعاقبة حيث كان يتم دعوة فيتولنيس لمقابلة زارنيس وسيلاراجاس . في حين تقوم ماريان زارنيس ابنة السفير بالعزف على البيانو في أحد أطراف صالة الاستقبال الواسعة يناقش الرجال الثلاثة على أنغام الموسيقى مستقبل حكومة لاتفيا الحرة ، وعندما حان وقت مغادرة فيتولنيس بعد تسعة أسابيع لم يكن لدى أى مهاجر أدنى شك حول مصداقية ضيفهم .

مع مرور الوقت تأكدت شكوك سكوت إلا أن فيتولنيس الغارق في السعادة لم يكن مدركاً بما يخبئون ، وطوال فترة إقامة فيتولنيس دعاه سكوت عدة مرات لتناول وجبات الطعام ورافقه إلى كمبردج وهو يشير إليه بسعادة « هذه هى كليتى القديمة » وكرر وهو يقف في المدينة العتيقة موجهاً كلامه إلى فيتولنيس - ساكون دائماً على ثقة فيك - وقد بدا هذا الكلام لفيتولنيس دليل على الاخلاص .

بدا على فيتولنيس الاقتناع بنجاح مهمته عندما أخبره سكوت أنه بعد قضاء أسبوع إجازة سيعود إلى بلاده .

وقبل أن يغادر فيتولنيس أكد سيلاراجاس ثقته فيه من جديد وطلب منه أن يحمل رسالة إلى رجالهم هناك وقام بتسليمه مظروف وعلبة مملوءة بالأدوية وفي هامبورج قضى ليلة تقليدية ممتعة ، وقبل أن يغادر مباشرة عرض عليه حبوب السيانيد ولكنه رفض . بعد أن ارتدى ملابسه التى جاء بها سافر وحده على ظهر ٢٠٨ اس إلى بورنهولم انتظاراً لتحسن حالة الطقس ثم تم إنزاله على ساحل لاتفيا .

إن التقارير التى قدمها فيتولنيس في شارع لينين والتي بدأت في مطلع يناير عام ١٩٥٤ واستمرت لمدة شهرين لم ترض لوكاسيفكس بسهولة رغم أن الميajor حاول إخفاء عدم ارتياحه .

وفي حين بدا من الواضح ان فيتولنيس حاز ثقة سكوت فإن الأسباب التي اختير على أساسها مثل الجهل والبراءة كانت تمثل نقصا وعيبا في التقارير التي قدمها .

ورغم أن فيتولنيس ضابط مخابرات محترف إلا أنه كان أيضاً فناناً ربما بدا إخلاصه الحقيقي حمل اقتناع في لندن . إلا أن هذا الاخلاص أثار الشك فيه بعد عودته .

كان فيتولنيس متأكداً من نجاح مهمته إلا أن عودته بدون مواد أو عملاء جدد توحى بالعكس . وانحصر أمل لوكاسيفكس في إمكانية احتواء الأضرار باستمرار وصول المعلومات الاستخبارية والحفاظ على عملية الخداع بالنسبة لعملاء اس - آى - اس الاثنى عشر الذين مازالوا يعيشون مع البارتيزان ، وكتجربة إضافية أصدر أوامره بإلقاء القبض على كورت كروميس عميل اس - آى - اس الذى يعيش مع مجموعة روبرت وتكهن أن تؤدي عملية القبض هذه إلى إرباك إس - آى - إس إلا أن الحقيقة التي لم يستطع أن يعترف بها هو أو فيفيرز أن عملية لارسن اس قد تغيرت جذرياً .

لم تعد أنشطة لوكاسيفكس بعد الآن مناورات لخداع اس - آى - اس ولكن محاولات للحد من الإضرار التي تلحق بـ كى - جى - بى واكتشاف الأخطاء التي وقعت .

وهكذا أصبحت سمات التباهى بالنجاح في لينين ستريت فاسدة بسبب الإحساس بالإحباط وعدم الجدوى ، فمع عدم وصول أى عملاء جدد خلال شهور الشتاء واحتمالات الخمول في الخريف ومارافقها من سيل الطلبات الواردة من برودواى لحصول على معلومات من مجموعة ماكسيس تستلزم السفر إلى جميع أنحاء الاتحاد السوفيتى .

بدأ المركز في موسكو يشك فعلا أن البريطانيين بدأوا يمارسون اللعبة بالعكس وتريد تحليل المعلومات المزيفة التي تلفقها كى - جى - بى ، وخلص إلى أن تحليل أبعاد المعلومات المزيفة التي تبعث بها كى - جى - بى يمكن أن يكون ضارا بنفس الدرجة التي تنجم عن المعلومات الصادقة التي تتلقاها اس - آى - اس .

أدى انعدام وصول أى معلومات موثوق بها من لندن إلى تعقيد مهمة كى - جى - بى ومع ذلك ظل لوكاسيفكس يعتقد في إمكانية الوصول إلى حل يتمثل في العودة إلى منهج دزيرزهنيسكى التقليدى في زرع عميل بين صفوف اس - آى - اس لاستعادة ثقتهم ، وكان المرشح المثالى لهذه المهمة هو كليمانس الذى أدت علاقاته الوثيقة مع زارنيس وسيلارجاس إلى إبرام اتفاق لندن .

خلص لوكاسيفكس إلى أن وجود كليكانس في برودواى هو الطريق الوحيد لبعث عملية أو إلحاق ضرر دائم بـ إس - أى - إس .

وتقوم خطة العمليات « التي تمت لمساتها الأخيرة في ترست » على اتخاذ خطوات جديدة في اللحظة المناسبة عند اكتشاف عملية الخداع لمضاعفة متاعب الضحية وهو ما حدث عام ١٩٢٩ عندما نجحت كى - جى - بى عن طريق أحد عملائها الذين طلبوا حق اللجوء الذاتى بعد اعتراف تلقائى في تحويل انتباه أجهزة المخابرات الغربية عندما اعترف أن - ترست - قد أقامها ديزيرز هنيسكى عمداً لخداع المخابرات الغربية بعد أن أدلى بتفاصيل مؤكدة اختفى ليعاود الظهور في موسكو بعد أن نجحت كى - جى - بى في تحويل انتباه الغرب . عن منشقين حقيقيين والتركيز على علاج أخطائهم الذاتية .

في عام ١٩٥٥ بناء على أوامر من الدائرة الثانية في مركز موسكو كلف لوكاسيفكس كليكانس بأداء مهمة مماثلة للتغلب على بدء تفكك مصيدة كى - جى - بى الأصلية بإعداد مصيدة جديدة عن طريق مهمة كليكانس لتدمير العلاقة بين اللاجئيين المهاجرين و اس - أى - اس عن أنشطة اخرى تنفذها كى - جى - بى وإثارة الشكوك حول علاقة اس - أى - اس مع مصادر المعلومات الأخرى .

بدأ تنفيذ المؤامرة الجديدة بإرسال إشارة في يونيو ١٩٥٥ من ماكسيس إلى جبرائيل تقترح عودة كليكانس إلى لندن مع زوجته للعمل كضابط اتصال لفترة طويلة في ٢٢ اغسطس جاء الرد من سيلاراجاس . « موافقون ولكن هناك خطر » واستطرد قائلاً : « لقد تعرضت مجموعة روبرتس لعدد من حوادث القبض على أعضائها ، ولا يمكن إرسال قارب إلى كورزيم ولأسباب أمنية انصحك بالبحث عن طريق آخر سواء عن طريق السويد أو ألمانيا . وبسبب شعور لوكاسيفكس بعدم الجدوى فقد تقبل الرد على معناه الظاهرى إلا أن حسابات المركز في موسكو كانت أكثر واقعية .

مع حلول عام ١٩٥٥ شددت الرقابة حول حدود الاتحاد السوفيتى البرية مع الدول المجاورة وأصبح من المستحيل تأمين طريق برى للخروج كما أن الاقتراح بإيجاد أو سرقة قارب صيد لعبور بحر البلطيق لم يعد طريقة مأمونة ، وخلص لوكاسيفكس إلى أن السماح بمرور بعض الوقت حتى يمكن التغلب على مشكلة العبور يجعل لندن أكثر اقتناعاً .

بعد ذلك وصلت رسالة من ماركسيس إلى برودواى تفيد أن كليكانس مازال

يبحث عن طريق آمن وسيكون على اتصال وفي ريجا كان لوكاسيفكس على ثقة من نجاح الخدعة الجديدة .

في غضون ذلك كانت عمليات إعادة تنظيم المركز في موسكو تجرى على قدم وساق بعد وفاة ستالين وبيريا مما أدى إلى موافقة المركز على الاقتراح دون تدقيق أو تعليق وتم إبلاغه أن فرع كى - جى - بى في استونيا في محاولة لإعادة ثقة اس - أى - اس في شبكات البارتيزان قد سمح بعودة هنيوكاريمان عميل اس - أى - اس إلى لندن مع كلوس عندما حمل القارب لوكس عائداً من لندن .

ولما كان لوكاسيفكس معزولاً عن الغرب فقد فشل في فهم مغزى التغيرات التي حدثت في صفوف العاملين في برودواى خاصة في المنطقة الشمالية .

جاء تقاعد ميترزيس عام ١٩٥٢ وانتهاء مواقع القوة مثل كار وجيبسون وآخرون في الدور الرابع من الذين انضموا إلى الخدمة في اس - أى - اس بعد الثورة البلشفية قضى تماماً وإلى الأبد حلم توجيه ضربة واحدة قاضية إلى الشيوعية . أما خلفاؤهم الذين عملوا كخبراء في الشئون السوفيتية مثل جون بروس لوكهارت وهارولد شيرجولد وجاك ايستون وهم شهود عيان على تفوق الاتحاد السوفييتي في ألمانيا فقد كانوا أكثر حماسة وأقل عاطفة من أسلافهم .

ورغم أن هؤلاء العاملين الجدد سيعانون من هزائم أمام كى - جى - بى وسيوصمون بالاختراقات المخزية إلا أنهم مثل معظم أبناء جيل مابعد الحرب كانوا كثيرى الانتقاد لأسلافهم وآبائهم وجاءت عودة كاريمان لتؤكد شكوكهم في هؤلاء الأسلاف .

جاءت تقارير كاريمان في لندن بمثابة صدمة لكل من ريبان وسكوت حيث كشفت النقاب عن أنه عرف كل شىء عن عمليات اس - أى - اس في الاتحاد السوفييتي فور وصوله إلى هناك قادماً من لندن .

وأخذ يشرح بالتفصيل كيف أن جميع الشبكات مخترقة من كى - جى - بى وكيف استطاع إخفاء شكوكه طوال فترة إقامته في استونيا وإقناع البارتيزان أنه بمجرد عودته سيشرح إس - أى - إس على تقديم المزيد من المساعدات .

لقد كان وصول لوكس وفرصة التبديل الروتيني تمثل فرصة تدبير هروبه .

جاء رد فعل اس - أى - اس إزاء ماكشف عنه كاريمان متحفظاً وتم استدعاء  
ماكبن لإجراء استجواب مفصل وتم إرسال النتائج إلى سى - أى - إيه والتي ألفت  
باللوم على العملاء وماكبن دون الاعتراف بمهارة الخصوم أو إلقاء اللوم على كار .

وعند هذه النقطة اراد خلفاء مكيبين وكار دفن القصة المحزنة برمتها حيث تأكدوا  
أن المكاسب من وراء استمرار هذه التمثيلية المملوءة بالالغاز قليلة جداً . إلى جانب ذلك  
توصلوا إلى أنه لا توجد أى فرصة لإنقاذ عملاء اس - أى - اس والذين يوجد منهم على  
الأقل أحد عشر عميلاً داخل دول البلطيق .

بصعوبة شديدة أعطى الضباط البريطانيون اهتماماً إلى أولئك من أمثال زيجماس  
كوديركا الذى كان يعيش فى فيلينيوس وأرسل العديد من الخطابات خلال عام ١٩٥٥  
يطلب عودته بسبب نفاذ النقود كما كتب خطابات إلى زيماناس وحتى ادموندس  
اعترف فيها بعدم وجود فرصة لعمل أى شىء ذى قيمة .

جاء رد برودواى إلى ادموندس حاسماً : « لم يعد من الممكن تنفيذ عمليات عن  
طريق البحر » وكان تبرير برودواى للتخلي عن العملاء بأنهم متطوعون من تلقاء  
أنفسهم ويعرفون حجم الأخطار ولا يمكنهم أن يحتجوا على النتائج .

على النقيض من ذلك ركز سكوت على اقتراح ماكسيس الأخير بضرورة عودة  
كليمانس إلى لندن حيث أن وجوده سيكون فرصة جاءت من السماء لاختبار جميع  
الشكوك إلا أن برودواى كانت تخشى من قيام كى - جى - بى بإغراء ٢٠٨ اس لدخول  
المياه الإقليمية السوفيتية وأسر كلوس وهذه مخاطرة غير مقبولة إلا أن الذى أدهش  
سكوت هو إصرار ماكسيس على سفر كليمانس إلى بريطانيا .

فى بداية عام ١٩٥٦ تحدثت ماكسيس مرة ثانية عن المشاكل التى تحول دون  
توفير قارب وطلبوا بإلحاح ارسال ٢٠٨ اس إلا أن جبرائيل رد بوجود أسباب سياسية  
تحول دون إرسال القارب وكان السبب الذى قدم قريباً من الحقيقة وهو الزيارة  
المرتقبة للزعماء السوفيت بولجانين وخروشوف .

فقد طلب مكتب رئيس الوزراء من اس - أى - اس عدم تنفيذ أى عمليات قبل أو  
خلال الزيارة التاريخية حتى لا يتم إحراج الضيوف .

أرغمت رسالة اس - أى - اس الحازمة لوكاسيفكس ومركز موسكو على إعادة  
دراسة كيفية إثارة البريطانيين لقبول مسئولية عملية السفر إلا أن هذه الأفكار تعرضت

لقاطعة بسبب رسالة غير متوقعة من سيلاراجس في ٢٢ يونيو ١٩٥٦ تنص : « لن نستطيع مساعدتك بعد الآن » وتؤكد : لن نرسل لك بعد الآن أى مساعدات مادية أو معنوية لأن جميع المنازل الآمنة نسفت ويتعين عليك يافيستورز - الاسم الكودى لكليمانس لدى إس - أى - إس - ألا تحضر وتبقى في منزلك .

وتضمنت الرسالة مانصه : ان الرحلة في غاية الخطورة وستهدد جميع منظماتنا الأخرى .

دمروا أو احتفظوا بأجهزة الإرسال والشفرات وهذه آخر رسالة من طرفنا حتى تتحسن الأمور .. نحن على استعداد للاستماع إليك حتى يوم ٣٠ يونيو ، ومن الآن فصاعداً فليساعدك الله ! .

مثلت هذه الرسالة ضربة إلى لوكاسيفكس إلا أنه بدأ التفكير في حلول طائشة حيث كانت عبارات رسالة سيلاراجاس ودية جداً ولاتوحى بأى إشارة باكتشاف الحقيقة وربما يكون في ذلك بصيص من الأمل .

نظراً لأن لوكاسيفكس لا يحيط بشيء من الشئون البريطانية كان من الصعب عليه أن يعرف خلفية رسالة سيلاراجاس فقد كانت اس - أى - اس تمر بمرحلة من الاضطراب .

خلال زيارة الزعماء السوفيت أرسلت اس - أى - اس ليونيل ( بوستر ) كراب وهو غطاس مسن لفحص جسم المدمرة السوفيتية الراسية في مرسى بورت سموث إلا أن كراب اختفى وإزاء الاحتجاجات السوفيتية وتسرب أنباء المغامرة واجهت المخابرات البريطانية فضيحة غير مسبوقه لعصيان أوامر رئيس الوزراء . سرعان ماتكشفت الأخطاء الفادحة لـ اس - أى - اس عندما أعلن السوفيت عن نجاح كبير لمخابراتهم في بولين من خلال حفر نفق للتجسس على الغرب تحت مقار القيادة السوفيتية إضافة إلى وجود أخطاء فادحة للمخابرات البريطانية في الشرق الأوسط .

ونتيجة لذلك أصبح ثمن الإدارة الخاطئة معروفاً في اس - أى - اس وفي نهاية الأمر تم إحلال سير ديك وايت في رئاسة ام - أى - فايف ( ام - أى - ٥ ) بدلا من السير جون سنيكلاير بعد تردد طويل نتيجة عدم تصديق الشك في قدراته .

وكان هدف هذا التغيير هو إعادة تنظيم جهاز المخابرات ليشمل الأفراد العاملين وأساليب العمل للحيلولة دون وقوع مزيد من الأخطاء والإحراج المربك .

نجح هارى كار فى ترتيب لقاء بعد مشقة مع المدير الجديد ليفوز بسبق إبلاغ وايت حول المراحل النهائية لعمليات البلطيق وكان كار معروفا بأنه يعمل بأسلوب يلائم الحقبة الأمبراطورية ولا يعرف شيئاً عن توازن القوى الجديد فى العالم — وقد تمت المقابلة خلال إحدى زيارته الدورية من كوبنهاجن بهدف تقديم تقرير إلى وايت حول المراحل النهائية لإنهاء عمليات البلطيق .

فى واقع الأمر تمثل رسالة سيلاراجس الأخيرة إلى ماكسيس إحدى طرق برودواى لكنس الخزانة وتنظيفها قبل وصول المكنتسة الجديدة إلا أن مثابرة لوكاسيفكس أدت إلى خنق الخطة فى مهدها بعد أن أعلنت المنطقة الشمالية أن عملياتها فى البلطيق تمت من منطلق الاهتمام التاريخى ! .

بعد أربعة أيام من رسالة سيلاراجس النهائية رد كيبورس وهو أحد العاملين فى تشغيل أجهزة الإرسال فى مجموعة ماكسيس وفى أول فرصة لتنفيذ الخطة المتفق عليها أرسل رداً قال فيه : « نحن نواجه كثيراً من الأخطار والمشاكل وأنتك طعنتنا بسكين من الخلف .. نحن فى انتظار مساعدتك ولا يمكنك أن تتخلى عنا .. فيستوس سيصل بمفرده نظراً للأخطار التى تواجهنا » .

إن إرسال كليمكانس فى ظل الظروف السائدة - كعملية استخبارية بحثة - هو عمل طائش إلا أن لوكاسيفكس كان غير قادر أو غير راغب فى تصديق أن فيتولنيس لم يحقق على الأقل نجاحاً جزئياً . بالفعل تم فى الساعات الأولى من صباح الثانى من يوليو ١٩٥٦ إنزال كليمكانس على شاطئ جوتلاند .

وما أن وطأت قدماه رمال الشاطئ حتى استسلم للشرطة المحلية وطلب نقله إلى لندن لمقابلة تشالز زارينس .

ولما كان السويديون لا يعرفون شيئاً عن خلفية هذا اللاجئ لذا لم يكونوا فى عجلة من أمرهم ويريدون بشدة معرفة ما يدور لدى جارهم المباشر وتم وضع كليمكانس رهن الاحتجاز لمدة شهرين لإجراء استجابات عادية غير مؤثرة وفى شهر سبتمبر تم السماح له بالمغادرة إلى لندن .

بعد وصوله قام كليمكانس بتسليم نفسه إلى اس - أى - اس لاستجوابه . اعتقد لوكاسيفكس أن العام الناجح الذى قضاه العميل فى لندن سيرجع بشدة كافة مزاياه إلا أن تجربة فيتولنيس والأحد عشر عاما الماضية من سذاجة اس - أى - اس دفعته إلى التقليل من جبروت وقدرة اس - أى - اس عند اللزوم .. ورغم أن مسار الأحداث

سيكون مختلفاً إلا أنه كان هناك اتفاق على أن استقبال فاتر لكليمانس قد جرى في الدقائق الأولى .

بدا موقف سيلاراجس متراوحاً بين العصبية والسخرية فقد كان من الواضح أن اللاتفي يفضل بقاء كليمانس بعيداً عن لندن . فإذا ماتم اكتشاف حقيقة كليمانس واستمر سكوت شغوفاً للبحث عن الحقيقة فإن سيلاراجس نفسه سيكون هو الضحية القادمة .

توقع سيلاراجس ألا يعامل « سكوت » هذا الوافد الجديد بنفس الأدب الانجليزي المعروف الذي عامل به من قبل فيتولنيس وتأكد من ذلك مباشرة بعد رفض سكوت طلبه بالسماح لكليمانس بزيارة تشارلز زارنيس . ومع توقع سيلاراجس لما هو أسوأ قام بإفشاء الأخبار إلى السفير .. وكتب زارنيس في مفكرته اليومية فيما بعد « لقد تعرضنا للخيانة من شخصيات لاتفية بارزة .. مما عرض بعض من الشباب الصغار للسجن أو للقتل » .

كانت مهمة سكوت الخاصة تتمثل في ضرورة اكتشاف كيف نفذت كى - جى - بي عمليات الخداع .. تم نقل كليمانس إلى إحدى الشقق المعزولة سيئة التهوية في لندن حيث بقى هناك لمدة ثلاثة أشهر يتم استجوابه يومياً بالنهار وأحياناً في الليل دون أن يتعرض لأى ممارسات تعذيب وحشية . إلا أن عملية الاستجواب كانت منظمة جداً وتهدف إلى ممارسة ضغوط نفسية حتى يصاب بالإرهاق حتى يعترف وفي نهاية الأسبوع الرابع بدأت قوة تحمله البدنية تنهار . واستمرت عملية الاستجواب ثمانية أسابيع أخرى .

رواية ماحدث خلال هذه الاسابيع والتي ضمنها لوكاسيفكس في ملفاته اتسمت بحرص لوكاسيفكس على مصالحه الذاتية وحماية سمعته أمام مرؤسيه الذين أمضوا سنوات قاسية في الغابات بعيداً عن عائلاتهم وتضمنت الرواية مايشير إلى أن كليمانس قد تعرض لأعنف شكل من أشكال الاستجواب الممكن .

وكتب لوكاسيفكس أن كليمانس قد وقع في زنزانية بدون نوافذ في لندن وتعرض للتعذيب الوحشى حتى يعترف بالحقيقة ثم تطورت عملية الاستجواب إلى عملية أكثر وحشية بعد حرمانه من النوم وتقديم الطعام المملح إليه ليأكله وأخيراً تم حقنه بمواد كيميائية . وقد حكى لوكاسيفكس بعض العاملين معه أن المحقق أخذ يلوح بمسدس محشو بالطلقات في مواجهة كليمانس . وفي نهاية الشهور الثلاثة أصبح كليمانس

حطام انسان ورغم الشجاعة التي أبدائها وسط نوبات من فقدان الوعي إلا أنه فقد قدرته على المقاومة وبدأ في الإدلاء باعترافات كاملة .

وأكد لوكاسيفكس في حديث مع كيبورس أن الرجل استطاع أن يصمد أمام تعذيب وحشى لا يمكن ان يطيقه أى انسان إلا أن كيبورس رأى من جانبه أن كليمكانس عند عودته قد تعرض لعملية إعادة توجيه وطلب علاجاً طبياً ومع ذلك رفض العرض الاخير من اس - أى - اس ليعود ليعمل عميلاً بريطانياً .

الحقيقة قد تكون مختلفة نسبياً عما قيل سابقاً حيث انهارت مقاومة الرجل بمجهود اقل مما ذكر وأدلى باعترافات كاملة ليهدم بذلك آخر ذرة من ثقة اس - أى - اس في اللاجئين وعندما كرر تمسكه بعدم الإنصاح عن التفاصيل الكاملة للعملية عرض عليه سكوت فرصة العمل مع اس - أى - اس وفيما كان الرجل يفكر في قبول العرض حتى يضمن عودته سالما كانت خيوط اس - أى - اس مع مصيدة كى - جى - بى قد تمزقت تماماً.

في أغسطس وبعد إشارة بالراديو من لوكس إلى استونيا سافر تريبان إلى هلسنكى للقاء العميل ورافقه في الرحلة هنيوكاريمان الذى كان أول من كشف عملية خداع كى - جى - بى ولكن اللقاء لم يتم وبدلاً من ذلك تلقى ريبان إشارة أخرى من لوكس يطلب فيها أن يأتى إلى استونيا أو على الأقل يتم اللقاء في البحر . إلا ان ظهور نوايا كى - جى - بى أعاد ريبان إلى لندن مخلفاً على الأقل أربعة من عملاء اس - أى - اس في استونيا وأثر إرساله رسالة نهائية توقف عن الاتصال بالراديو وترك بعدها اس - أى - اس .

وقد بقى كاريمان في اسكندنافيا وعمل على سفينة تجارية سويدية كضابط اتصال وبعد ذلك بوقت قصير تم اغتياله .

في غضون ذلك كانت العمليات في ليتوانيا في طريقها إلى الزوال ففي الرد على استغاثات زجماس كوديركا من أجل إنقاذه أرسل إليه زيمانتناس إشارة في يوليو قائلاً : (لاستطيع تدبير إعادتك إن موقفك ليس سيئاً حاول تدبير هروبك عن طريق السويد ) وفي شهر سبتمبر وفور وصول كليمكانس إلى لندن تم إلقاء القبض على كوديركا .

وهو في حالة من الرعب واجه اثنين من المحققين هما الجنرال جورمونراموف وبيتيوركاربوتشين ومتبعاً قواعد اس - أى - اس في الاكتفاء بعرض قصة الغلاف

وانكار أية اتهامات ولكن الحضور الذين يدخنون بشراهة سخروا منه وقال كاربوتشين : « نحن نعرف كل شيء .. خذ سيجارة واستمع » وخلال حوالى ربع ساعة قام ضابط كى - جى - بى بشرح أدق تفاصيل مهام كوديركا فى اس - اى - اس واستطرد قائلاً : « إن ادموندس رجلنا عليك أن تعترف بما حدث تماما وهذا سيساعدك فى المحاكمة والرفض لن يفيدك فى شيء » ورد كوديركا : إن كل ماكنت أريده هو مساعدة بلادى والدراسة فى الجامعة . وقد طلب الادعاء خلال محاكمته توقيع عقوبة السجن لمدة ٢٥ عاما إلا أن المحكمة قضت عليه بالسجن لمدة ١٥ عاما فقط .

على الجانب الآخر انتهت محنة كليمانس بصورة أسرع فمع حلول شهر نوفمبر وبعد ان أكل واستراح نظم له سكوت حفل وداع . ووفقا لما رواه لوكاسيفكس قال ضابط اس - اى - اس : « سنعيد إرسالك إلى روسيا ولكننا نريدك أن تحمل معك رسالة أبلغ أساتذتك أننا شاكرون لهم الدروس إلا أننا لسنا حمقى وأخيراً أبلغهم أن يعاملوا رجالنا كما عاملناك »

لم يكن هناك أى إحياء على عقد صفقة أو استرداد عملاء بريطانيين مقابل ضابط كى - جى - بى .

ونظراً لخوف اس - اى - اس المفهوم من أن إجراء أى محاكمات علنية لعملائها فى روسيا سيؤدى إلى فضيحة دولية مخزية فقد كانت تفتقد إلى أى قوة تفاوض .

وكانت مصادفة أن يتم حل العقدة نهائياً فى لندن متزامناً مع انعقاد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى فى موسكو حيث أدان نيكيتا خروشوف عن الجرائم التى ارتكبتها كى - جى - بى فى عهد ستالين . ووجدت القيادة السوفيتية الجديدة عدم فائدة تذكر من وراء تمجيد انتصارات نظام بيريا .

وهكذا تم اقتياد كليمانس بواسطة ضباط اس - اى - اس إلى مطار حربى خارج لندن وهناك انتظر العميل السوفيتى فى قلق حتى استوت الطائرة فى الارتفاع ليعرف الاتجاه الأخير .

ثم بدأ فى الاسترخاء عندما طارت فى اتجاه الشرق وبعد الهبوط والخروج من مطار استوكهولم كانت هناك سيارة ليموزين ذات مقاعد مريحة انطلقت بركابها بسرعة إلى داخل المدينة حيث توقفت أمام السفارة الروسية فى ١٧ فيلا جاتان وهناك قال المرافق

البريطاني بسعادة هانحن قد وصلنا إلى المكان الذي نقول لك فيه مع السلامة .

خرج كليمانس من السيارة وطرق باب السفارة وغادرت السيارة قبل أن يسمع صوت قفل الباب يفتح ليدخل إلى مبنى السفارة .

بعد عودته إلى روسيا مكث في المستشفى عدة أسابيع وبعد أن تعافى حصل على نجمة حمراء ودعى إلى الانضمام إلى الحزب الشيوعي أما كيبورس الذي ذكاه فقد حصل على نجمتين .

اما العملاء البريطانيون فلم يكن موقفهم واحداً ففى حين تم تنفيذ حكم الإعدام في بعضهم وقضى آخرون عشرين عاماً في السجون خارج موسكو تم معاملة عدد منهم برفق . على سبيل المثال جوناس جانيتز كاس وهو ليتواني أرسل لتشغيل جهاز الارسال مع جوناس ديكنيز تم الإفراج عنهم بدون محاكمة بعد أن قضى عاماً في السجن وأفرج عن زيجماس كوديركا بعد عامين فقط رغم الحكم عليه بالسجن لمدة ١٥ عاماً .

وفي صدفة غير متوقعة التقى مع ادموندس على رصيف المحطة في فيلينيوس بعد رحلة دامت ١٤ ساعة بالقطار من موسكو وذهب معا إلى إحدى المتنزهات القريبة حيث شرح له ادموندس عملية الإفراج عنه مبكراً وقال له ضابط الـ كى - جى - بى إنك لم تقتل أحداً ولم تكن شيئاً .

لقد قتل العديد من الناس خلال سنوات ما بعد الحرب ولذلك فإنك سعيد الحظ لأنك لم تواجه سوى عقوبة السجن . وقال : إن الطريق الوحيد الذي كان لدينا لوضع نهاية للحرب كانت هو السيطرة على الناس الذين يحاولون إشعال النار .

بعد هذه الحادثة ترك كليمانس المنتزه متوجهاً للقاء عشيقته التي لم تكن تعلم بالقبض عليه وليرى ابنه لأول مرة والذي ولد بعد القبض عليه . وخلال سنوات إعادة التكيف لم يوجه غضبه إلى الـ كى - جى - بى إنما إلى البريطانيين وأبر عائلته أن البريطانيين هم الذين أوقعوه في الشرك وتخلوا عنه بعد ذلك تماماً وقال : « إنهم لم يعيدوا إليّ حتى ممتلكاتي الشخصية » .

لقد واجه عملاء اس - أى - اس المهاجرون الثلاثة مصيراً مختلفاً بعد أن طردوا جميعاً من الخدمة في نهاية عام ١٩٥٥ . سيلاراجس فكر في بداية الأمر في افتتاح محل تجارى في بيكونيسفيلد إلا أنه فعل مثل غيره من الاوروبيين الشرقيين الذين خافوا من

انتقام كى - جى - بى وبحثوا عن حياة جديدة وهوية جديدة فى كندا حيث توفى فى نهاية السبعينات .

أما زيمانيتس الليتوانى فقد رفض عرضاً للتدريس فى جامعة اكسفورد وفضل الهجرة إلى لوس انجلوس وسافر وهو محطم روحياً وعاطفياً بعد كشف النقاب عن حالات الفشل والموت والخداع وعمل طوال أحد عشر عاماً بعد ذلك بستانى وحفار قبور فى مقبرة محلية ومات مخبولاً عام ١٩٧٣ .

وهاجر ألفونس ريبان من بريطانيا بعد طرده من الخدمة إلى مدينة اوجسبرج فى ألمانيا الغربية وباعتباره ضابط اس - اس سابق فى ألمانيا فقد استحق بطريقة تلقائية الحصول على معاش وقبل أن يسقط ميتا بسبب إسرافه فى شرب الكحول قام بإحراق جميع أوراقه الخاصة بطريقة منظمة - وكما أخبر أحد زملائه أنه قام بهذا على أمل عدم اكتشاف كى - جى - بى لمصيبته .

على الجانب الآخر رقى لوكاسيفكس إلى رتبة جنرال وقضى عقد الستينات فى مركز موسكو وفى ديسمبر عام ١٩٧٢ وصل إلى لندن ليعمل سكرتيراً أول للسفارة السوفيتية باسم ياكوف كونستا نتيونفيتش بوكاشيف وطوال ثمانية سنوات تولى إدارة عمليات مكافحة التجسس فى بريطانيا ولم يتنبه أى واحد فى جهاز اس - أى - اس للعلاقة بين بوكاشيف وكارثة البلطيق .

ولسخرية الأقدار كان يسكن فى منزل يقع فى ٣٤ هولاند بارك على بعد مرمى حجر من مبنى مفوضيات دول البلطيق الثلاث التى أصبحت أشباحاً من مخلفات فترة منسية وفى بعض الأحيان خلال نزهته الليلية كان يمر بالمبانى المزخرفة المهجورة لتذكره بنجاحه .

ولدى عودته إلى ريجا عام ١٩٨٠ عبأ حقيقية بأشياء تذكارية من بريطانيا وحتى وفاته عام ١٩٨٨ كانت حوائط شقته المريحة تحمل شواهد من إقامته السعيدة فى لندن .

وتردد أن لوكاسيفكس أصبح عاشقاً لانجلترا وعند تقاعده بالغ فى تصوير أساطير نجاحه العظيم وزعم أن آخر رسالة تلقاها من برودواى للإعلان عن عودة كليمانس عام ١٩٥٥ تضمنت « باسم الملكة نرجوك أن تحفظ هذه المسألة سراً » .

فى نوفمبر ١٩٥٧ زار كيم فيلبى لوكاسيفكس فى ريجا حيث قام بهذه الزيارة بعد

أن وهن وضعف في سن الخامسة والسبعين وكان سبب الزيارة جزئياً أن يقدم تحياته إلى منزل رئيسه في كى - جى - بى في اسبانيا جانيس بيرزيس إلى جانب القيام بنوع من الخداع السياسى للإيحاء من خلال التلفزيون الممل أن المظاهرات القومية التى تجتاح دول البلطيق تتم بتدبير من جهاز المخابرات البريطانية .

وكذلك الظهور في برنامج تليفزيونى خاص يعده لوكاسيفكس للاحتفال بالذكرى السبعين لإنشاء كى - جى - بى وقال في البرنامج مخاطباً المشاهدين من أبناء لاتفيا في تفسير الاحتجاجات القومية في الشوارع : « إنهم يفعلون بالضبط الآن ماكانوا يفعلونه على أيامى وأنا أعرف كل شيء عن ذلك » ولكن كما أسر فيلبى فيما بعد إلى لوكاسيفكس خلال حوار دار معه وتم تسجيله بناء على طلب الثانى اعترف فيلبى أنه لم يشارك أبداً في عمليات كار في البلطيق بعد عام ١٩٤٧ ولم يكن يملك أى دليل على فشلهم .

ان المزاعم غير المباشرة التى وردت في سيرته الذاتية المعتمدة من كى - جى - بى بأنه السبب وراء إلقاء القبض على عملاء المخابرات البريطانية كانت في ذلك الوقت محاولة أخرى من أساتذته للتعتيم على دوره الحقيقى الذى كان يتمثل في إعلام مركز موسكو حول نجاح خطط الخداع .

قبل عودته إلى موسكو قام فيلبى برفقة لوكاسيفكس بجولة في المدينة تاركا أبناء البلطيق غير مصدقين أن المظاهرات التى تسير في الشوارع تنادى بحق تقرير المصير يدبرها محرضون رأسماليون حتى لوكاسيفكس نفسه لم يكن يصدق هذا التفسير .

في واقع الأمر أفضى ضابط كى - جى - بى إلى زملائه بمساندته لسياسة الجلاسنوست الجديدة لدرجة أن البعض شك في أنه يؤيد حدوث نوع من بعث جديد لاستقلال لاتفيا . ومع ذلك لم يرد حد أنه منذ أربعين عام قام عملاء المخابرات البريطانية والمشرفين عليهم بالسعى لتحقيق نفس الأهداف التى يسعى إليها القوميون خلال عهد الجلاسنوست الذى أعرب عن ترحيبه به .

أما كار الذى كان متقاعداً في منزله فلم يشعر بارتياح إزاء الأنباء الواردة من دول البلطيق وكان قد بلغ سن الثامنة والثمانين يكافح بشق الأنفس ليعيش يومه علاوة على أنه عكس لوكاسيفكس لم يكن سعيداً باجترار ذكريات الماضى .

كان مدير المنطقة الشمالية قد تقاعد عام ١٩٦١ دون أن يتلقى أى تكريم جديد وكان يحيط نفسه بذكريات الطفولة والميداليات الرياضية التى حصل عليها في المدرسة ويستطيع فقط الاستماع إلى أغانى بيوتر لشنكوا ومستغرق إلى مالانهاية في التفكير

حول أين ولماذا تم الكشف عن أسرار عملياته . وكانت إجابته التي لم تتغير أنه فيلبي الذي كان لجوءه إلى موسكو تفسيرا مريحا لجميع مصائبه . كان يحمل مقنناً مميّزاً لفيلبي - وحسب ماجاء في التاييمز في نعيه أن خيانة فيلبي كانت سبباً في وفاة العديد من الذين عرفهم كار في روسيا ، وسواء كان كار يعرف الخطأ المجهول أم لا فإنه عندما جاء المؤرخون الشباب من المكتب لاستكمال التفاصيل المفقودة من سجل حياته الشخصية وجد كار من المناسب التعظيم واستند على سمعته بأنه مغرق في السرية . لقد أصبحت القيم مختلفة جداً حالياً عما كانت عليه في أيامه حتى المبني تم نقله من سانتا جيمس إلى مكان كئيب يسمى سنيشري هاوس ولا يوجد أحد في هذا المكان يفهم معنى المصيدة الحمراء .. لقد خدم بلاده وقضيته بإخلاص وأمانة وحب وهذا كل ما يحتاج العالم إلى معرفته .

توفي كار في مارس عام ١٩٨٨ وتم دفن جثمانه في احتفال خاص بسيط في جويلفورد وكانت صفحة الوفيات في التاييمز أول من عرّف ولديه وأخيه عن عمله وعذابه طوال الثلاثين عاماً الماضية إلا أنهم لم يدركوا بسهولة طبيعة الجراح .

بعد ذلك بشهرين توفي كيم فيلبي في موسكو وفي موكب مهيب تم تكريم أحد خونة الأمة علناً فقد جنبه كار المحاكمة وبعد ستة أشهر وفي العاشر من نوفمبر مات جانيس لوكاسيفكس في ريجا . وهكذا بعد سبعين عاماً من الثورة البلشفية ورث ناسج المصيدة « ترست » لجيل جديد من المجرمين .

بدون شك سيجدون أيضاً جيلاً جديداً ليكون ضحية لهم .

\*\*\*